د. بن عبد الواحد محمد benamoh6000@gmail.com

ماستر 1- أدب شعبي

مقياس اللّهجات - محاضرة -

1

الموضوع:

# الأدب الشّعبي وبدايات الاهتمام بالشّعر الشّعبي في الجزائر -

## 1) - الأدب الشّعبي العالمي:

- نبع مصطلح الأدب الشعبي ومناهج دراسته من رحم حقل الدّراسات الشعبية أو فنّ الفولكلور أو فنّ الإثنولوجيا الذي ازدهر في العصر الحديث، ويستهدف جمع تراث الأمّة وحفظه، ودراسته. فهو يعبّر عن روح الجماعة ويتماشى مع ذوقها، فنّ أفرزته الثقافة مع الأيّام، يمارسه النّاس إبداعًا وتذوّقًا، يكون مجهول الهوية والمؤلّف أحيانا، لأنّه ملك الجماعة.

وهناك الإبداع الشّعبي (FOLK FICTION)، وهو مصطلح يستعمل للملكات الخلّاقة التي لا تصدر عن شخصيّة فرديّة، خاصّة في المجالات التي يتوسّل فيها بالكلمة المجهورة أو الشفاهية، كما يستعمل للدّلالة على الآداب الشعبيّة إذ يتألّف من الحكايات والأغاني والأمثال والألغاز، وبعض الظّواهر التّمثيليّة ما يدخل في مجال الآداب الشعبيّة، وتُسمّى الأدب الشّعبي.

ومصطلح الأدب الشعبي يُشير إلى التّعبير الفنّي المتوسّل بالكلمة، وما يصاحبها من حركة وإشارة وإيقاع، تحقيقًا لوجدان جماعة في بيئة جغرافيّة معيّنة أو مرحلة محدودة من التّاريخ. وقد ارتبط الأدب الشّعبي بالنّصوص الشّفاهيّة والرّوايات التي تنتقل من فرد إلى فرد، ومن جيل إلى جيل، وفيه حركة الإيقاع والموسيقى والغناء، وهناك أنواع أدبيّة أخرى فيها المنظوم والمنثور والمسجوع جنبًا إلى جنب.

2

كما أنّ الأدب الشّعبي جزء لا يتجزّأ من شخصيّة الأمّة وتراثها وتاريخها، يُؤازر المظاهر المادّيّة التي يعتني بها علم التاريخ والآثار، كما يقبل الإبداع الفردي مع الإبداع الجماعي؛ فكما أنّ هناك نصوصًا شعبيّة كثيرة مجهولة المؤلّف، فهناك العديد من النّصوص معلومة المؤلّف، وبالتالي يتجاوز قضيّة المؤلّف المجهول إلى قضيّة الأدب الشّعبي المعبّر عن وجدان الجماعة، والمُصاغ بلغة بيئتها المحلّيّة العامّيّة التي توارثتها الأجيال؛ مع التأكيد على أنّ النّصّ الجماعيّ ما هو إلاّ منتوج أوّلي لمُبدع فرد، وإن حدثت زيادات على هذا النّصّ من قبل آخرين.

ويتّخذ من اللّغة أداة للتّجربة الفنّيّة، فهو أدب العامّيّة سواء كان شفهيًّا أو مكتوبًا أو مطبوعًا، وسواء كان مجهول المؤلّف أو معروفه، متوارثًا عن السّلف السّابق أو أنشأه معاصرون معلومون لنا.

ولعلّ معيار اللّغة العامّيّة هو الأنسب في تحديد الفرق بين الأدب الشّعبي والأدب الفصيح؛ لأنّ اللّغة الشّفاهيّة هي لغة الحياة اليوميّة النّاميّة، المعبّرة عن لسان البسطاء من الشّعب، التي يسهل فهمها؛ تتبنّى قضايا الشّعب وتعبّر عن رغباته وآلامه.

إنّ العامّيّة بكلّ لهجاتها ومواطنها هي لغة الأدب الشّعبي بكلّ نصوصه وشعرائه، وبمختلف أشكاله من أغانٍ وأشعار وسير وأمثال، التي اتّخذت الشّفاهيّة أساسًا لتكوينها ثمّ جاء تدوينها سبيلاً لحفظها.

إنّ دراسة اللّهجات في أقاليم العربيّة يعطي صورة متكاملة عن الواقع اللّغوي والأدبي (الفصيح والعامّي).

والوحدة بين أقطار العربية تقوى وتعزز بالتكامل والتنوع الثقافي بين شعوبها ؛ فكل قطر وإقليم عربي له تميزه اللغوي والثقافي والأدبي والشفاهي الذي يتلاقى مع سائر الأقطار، ويثري مخزونها الثقافي.

والأدب الشعبي كما يعرفه المستشرق الإيطالي "جوفاني كانوفا" هو الأدب الشائع في الطبقات التي تسمى عادة بشعب أو عامة، وله ميزات خاصة به في بعض الأحيان ومشابهات مع الأدب الكلاسيكي، ويستعمل اللهجة المحلية أو لغة شبه فصيحة، سهلة فيها تعابير كثيرة باللغة العامية. (1) فهو ابن البيئة التي ينشأ فيها، وهو حصيلة ما يكسبه الأفراد من تلك البيئة ومن الجماعات التي يتعايشون معها، وهو الإشعاع الحساس الذي يصور حياة المجتمع ويتفذ إلى أعماقه.

والأدب الشعبي ينتمي جذريا للتراث المجتمع، بل يحمل تراث أمة بأكملها، وينمو بنموها ويتطور بتطورها. فالأدب الشعبي تراث ثقافي وتاريخي وفكري، فهو الذي ينتقل بفكرة الأمة وعاداتها وتقاليدها وحكاياتها وقصصها وأنسابها ومعتقداتها من جيل إلى جيل. (2) فهو الأدب الشفاهي (ORAL Litterature)، أو الفن اللفظي (Verbal Art)، أو الأدب التعبيري (Expressive Litterature) (3)

وهناك من يعطيه تعريفا كاملا بأنه هو الأدب المجهول المؤلف، العامي اللغة المروي شفاهيا، المعبر عن ذائقة الطبقات الشعبية الدنيا، المتوارث عبر الأجيال... وهو الأدب الذي يعبر عن وجدان الجماعات

---

1) - مجلة التراث الشعبي العراقية، العدد 6، 1980، ص 182.

2) - حلمي بدير، أثر الأدب الشعبي في الأدب الحديث، دار المعارف، مصر ط 1، 1986، ص، 26.

3) - محمد الجوهري، علم الفولكلور، الأسس النظرية والمنهجية، الجزء 1، دار المعارف، مصر، ط 4، 1941، ص 540.

الشعبيّة ويتحسّس هواجسها وهمومها وطموحاتها، ويدعّم تماسكها كما يحاول التعبير عن محطّة تجارب المجتمع.(1)

## 2- بدايات الاهتمام بالشّعر الشّعبي في الجزائر:

إنّ أغلب الدّراسات النّقديّة تشير إلى العناية الكبيرة والجهود المبذولة من طرف الباحثين للإلمام بالثّقافة الشّعبيّة الجزائريّة.

فقد اتّجه الباحثون والدّارسون الفرنسيّون منذ القرن التاسع عشر إلى جمع وتدوين الموروث الشّعبي وتحليله؛ وقد حظي الشّعر الشّعبي باهتمام بالغ في الدّراسات السوسيو-ثقافيّة؛ والمعروف أنّ هذه الثّقافة الشعبيّة - في أغلبها - ذات طابع شفوي كالشّعر الشّعبي، حيث تتناقلها الأجيال شفاهة عن طريق الرّواية.

وجاء اهتمام الباحثين الفرنسيّين بالشّعر الشّعبي قصد التعرّف على البيئة الشعبيّة الجزائريّة، وانصبّ اهتمامهم بالشّعر الذي يتناول وقائع المعارك المسلّحة بين الجزائريّين والجيش الفرنسي؛

يقول عبد الحميد بورايو: «... وما حُظي منه بالاهتمام كان يرتبط ارتباطا مباشرا بالثّقافة الماديّة، واعتمدها الباحثون الفرنسيّون كمادّة تصلح للكشف عن سلوك الإنسان الجزائري وردود أفعاله.(2)

وهذا دليل على اقتناع الباحثين الفرنسيين بأنّ الشّاعر الشّعبي كان يؤدّي وظيفة المؤرّخ في تصوير المعارك وكذا مقاومة الجزائريّين للاستعمار الفرنسي؛ وقد اهتمّوا كذلك بالحقبة التّركيّة ما جعلهم يجمعون الأشعار التي تؤرّخ لوقائع الصّدامات المسلّحة التي وقعت جرّاء الحملات العسكريّة التركيّة؛ كما اهتمّوا بالحروب التي كانت تقع بين المجموعات المحليّة المشكّلة للقبائل فيما بينها، وقد جُمعت هذه الأشعار ونُشرت مترجمة

---

1- مصطفى يعلى، القصص الشعبي بالمغرب، دراسة مورفولوجية، شركة النشر والتوزيع، المدارس، ط1، 2001، ص 18.

2- عبد الحميد بورايو، الأدب الشعبي الجزائري

إلى اللّغة الفرنسيّة حيث نعثر عليها في الدوريات خاصّة والمجلاّت كالمجلّة الإفريقيّة أو في بعض المؤلّفات، منها:

- مدوّنة الأمريكي (هودوقسون) W. Hodgson، والذي عمل فيها على تسجيل أقدم القصائد الشّعرية القبائليّة، وهذا قبل احتلال المنطقة من قبل الفرنسيّين ببضع سنوات، إذ يعدّ هذا الشّعر من أقدم الأنواع الأدبيّة التي حظيت بالاهتمام في مرحلة الاستعمار الفرنسي.

- مدوّنة الفرنسي أ. هانوطو سنة 1867، والتي عنونها بـ: "الشعر الشعبي في قبائل جرجرة"، فعمد فيه إلى تصنيف الشّعر القبائلي حسب مضمونه، حيث خصّص القسم الأوّل للقصائد التاريخيّة والسّياسيّة، وتناول في القسم الثاني بعض الشّعر الغنائي وشعر الحكمة، وقدّم في القسم الثالث بعض النماذج من الشّعر النّسوي.

فمن الظّاهر أنّ هانوطو قد اعتنى بصفة خاصّة بالشّعر الّذي يكشف عن موقف الجزائريّين في منطقة القبائل من الاستعمار الفرنسي.



---

ملاحظة: للاستفسار يُرجى الاتّصال بالبريد الإلكتروني للأستاذ:
benamoh6000@gmail.com.